مجلة أبحاث البصرة(الإنسانيات) المجلد ٣٠ العدد(٢-ج)٢٠٠٦ ص٩٥ -١٠٨

المكانة الاجتماعية
للسيد طالب النقيب في المجتمع البصري

د.حسين علي عبيد المصطفى
قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة البصرة

(المكانة الاجتماعية للسيد طالب النقيب في المجتمع البصري)*

المقدمة:

تكاد حقبة بدايات القرن العشرين ،تشكل البداية الفعالة لحركة القومية العربية ، بما أفرزتـــه مـن تيارات ، ومواقف سياسية واجتماعية تصب في خانة الدفاع عن الحقوق العربية ، التي سلبتها السيطرة العثمانية ، إذ شكل التصلب التركي (الطوراني) ردود فعل من القوميات الأخرى التي شكلت خارطـــة الإمبراطورية العثمانية ، تجسدت أحيانا باتجاهات ومواقف يمكن وصفها بالعنيفة أو الثورية.

برزت خلال تلك الحقبة ، أسماء شخصيات عدة ، غطت الساحة السياسة في المشرق العربـــي، آلا انه يمكن القول بان شخصية السيد طالب النقيب كانت من الشخصيات البـــارزة والواضحـــة فـــي موقفها للدفاع عن القضايا العربية بشكل عام ، وقضايا ولاية البصرة والحركة القومية فيـــها بشـــكل خاص .

وعلى الرغم من غلبة الجانب السياسي وطغيانه على شخصية السيد طالب النقيب ، نتيجة انغماس هذه الشخصية في الصراعات السياسية والقضايا الحزبية بشكل كبير، بحيث اتسعت دائرة هـــذا التفـــاعل السياسي ، وتجاوزت الأطر المحلية ، إلى الأفاق الإقليمية ، ألا أن الجانب الاجتماعي ، كان له تأثيره الفعال في تكوين شخصيته .

يحاول هذا البحث ، أن يتتبع التكوين الاجتماعي لشخصية السيد طالب النقيب ، وتأثيرها في المجتمـع البصري بشكل خاص ، والمجتمع العراقي والعربي المجاور بشكل عام . ويحتم منهج البحث للتاريخ الاجتماعي التعرف على جذور التكوين الاجتماعي لأسرة السيد طالب . وتبرز في هذا المجال ، تساؤلات عدة ، تتعلق بالمركز الاجتماعي لهذه الشخصية بين فئات المجتمع البصـــري ، المتمثلـــة بالأسر والعشائر ، أو بدائرة أوسع في المجتمع العراقي والإقليمي . وتساؤلات أخر عن قيمة الـــتراث لأسرة السيد طالب في تكوين هذا المركز ؟ وما دور نقابة الأشراف – التي تربع عليها ، رموز هـــذه

الأسرة لمدة طويلة – في اكتساب الأسرة لتلك المكانة الاجتماعية ؟ وما طبيعة الخطاب السياسي في انتزاع هذا المركز ، من شخصيات أخرى ؟ وأخيراً ، ما طبيعة الأساليب القيادية للسيد طالب في إبراز مركزه الاجتماعي بشكل واضح في المجتمع البصري ؟

السيد طالب والأسرة الرفاعية :

كان للأسر العربية الكبيرة ، اثر واضح في صنع القيادات الدينية والفكرية والسياسية ، ومن الملاحظ أن الأسر التي كان لها كيان مؤثر في مجرى الأحداث الاجتماعية والسياسية ، في ختام القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، كان لها ارث ديني ، اكتسي طابع التصوف والعرفان . ينتمي السيد طالب إلى الأسرة الرفاعية ، [١] فهو السيد طالب بن السيد رجب بن السيد محمد سعيد بن السيد طالب بن السيد درويش .....

وينتهي نسبه الشريف إلى حضرة السيد احمد الرفاعي الكبير الذي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن أبي طالب (عليه السلام) . [٢]

انتسبت الأسرة الرفاعية إلى السيد احمد علي الرفاعي . [٣] وتوارثت مشيخة الطريقة الصوفية المسماة باسمها في جنوب العراق ، وفي ولاية البصرة بشكل خاص . وواقع الحال أن السمعة الحسنة والطيبة لهذه الأسرة ، ترسخت في البصرة ، وأنها ((تجذرت في المجتمع البصري ، سواء أكان ذلك في البصرة القديمة أم في البصرة الجديدة ، حيث برزت كأحدى الأسر البارزة في المدينة ، وليس هذا فحسب ، بل أنها اكتسبت احتراماً وقدسية من قبل السكان بمرور الزمان ، نتيجة لترؤسها نقابة الأشراف [٤] في البصرة ، حتى أصبحت حكراً عليها طيلة العهد العثماني، تقريباً)) . [٤]

ومن الجدير بالذكر ، أن الأسرة تبوأت مركزاً اجتماعياً مرموقاً حينما تم تعيين السيد يحيى ، أحد أحفاد السيد رفاعة بمنصب ((نقيب الطالبيين)) في البصرة القديمة سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م [٥] .

ولاشك أن هذا المنصب شكل البدايات الأولى لصعود الأسرة سلم المراكز الاجتماعية في البصرة . وعند وفاة السيد يحيى دفن في جنوب البصرة في منطقة أطلق عليها في العهد ألا سلامي ((قم الدير)) وسميت فيما بعد بـ((السبيليات)) حيث أصبحت في العهد العثماني منتجعاً للأسرة حتى منتصف القرن العشرين . [٦]

لم يبق أفراد الأسرة جميعاً في البصرة ، بل هاجر قسم منهم إلى مناطق أخرى منذ بدايات القرن السادس عشر ، وكانت الدوافع الاقتصادية (التجارة) ابرز الأسباب في ذلك . والذي يهمنا في بحثنا هذا هو هجرة بعض النقباء ومنهم السيد ((عبد الواحد بن سيد محمود الأسمر)) وهو الجد الاعلى للسيد طالب النقيب ، الذي هاجر مع بعض أفراد أسرته إلى مندلي ((في محافظة ديالى)) سنة ٩٣١ هـ / ١٥٢٤ م وبقي مع افراد أسرته هناك وقد رجع قسم من الأسرة إلى البصرة في القرن التاسع عشر . [٧] وهم ال النقيب ، الذي ينتمي إليهم السيد طالب ليستلموا نقابة الأشراف في البصرة .

المكانة الاجتماعية للسيد طالب النقيب في المجتمع البصري

والجدير بالملاحظة أن الأسرة علا شأ نها – سياسياً واجتماعياً – في نهاية القرن السابع عشر الميلادي ، على اثر أفول نجم الطريقة الشاذلية . [٧] التي رعاها وتولى شؤونها آل عبد السلام (آل باش عيلن فيما بعد) . [٨]

واكتسبت الأسرة الرفاعية احتراماً وقدسية من قبل السكان – بمرور الزمن – بسبب نسبها الهاشمي العلوي من جهة ، ولترؤسها نقابة الاشراف من جهة أخرى ، فلا غرابة أن تكتسب الأسرة تلك المنزلة العالية في المجتمع البصري ، بحيث أصبحت قبور بعض رموزها في السبيليات ،مزارات يتبركون بها ، ويعجبون بكرا ماتها . ومن هذه المزرات ضريح السيد يحيى ، وضريح السيد شعبان ، الذي دفن فيها سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م . [٩]

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا ، لماذا اصبح لقب ((النقيب)) اكثر تداولا لرجالات هذه الأسرة ، وعلى الاخص في القرن التاسع عشر وحتى التسعينات من هذا القرن – القرن العشرين –حتى كاد ان يختفي لقب الرفاعي .. عنها بين الناس ؟ ولعل الإجابة الصحيحة على هذا التساؤل ، تكمن في ارتباط لقب النقيب بمجريات الاحداث السياسية في العهد العثماني . اكثر من اللقب الآخر الذي ارتبط بالطريقة الصوفية . وواقع الحال يدل على ان وقوف رجالات الأسرة إلى الجانب السلطة العثمانية ،منذ بداية دخولهم البصرة سنة ٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦ م جعل الاخيرة ، تكافئهم بالمصادقة على تثبيت الاسرة في رئاسة نقابة الاشراف . [١٠]

ويبدو من مجريات الاحداث السياسة في القرن السابع عشر بروز الاسرة في التأ ثير على مجريات الامور السياسية في ولاية البصرة . فتورد بعض المصادر ، اشتراكهم في تحديد الوالي المناسب للولاية فعلى سبيل المثال أرسلت الاسرة في سنة ١١٠٩ هـ /١٦٩٧ م كتباً إلى والي بغداد حسن باشا (١٦٩١ –١٦٩٩ م) طالبين منه تولي شؤون ولاية البصرة. [١١]

ومن ابرز رموز الاسرة ، الذي تولى نقابة الاشراف في العهد العثماني السيد عبد الله [١٢] ،والسيد عبد الرحمن افندي ابن السيد طالب (توفي سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٤ م)والسيد محمد سعيد ، والسيد احمد باشا النقيب . وأخر من تسلم منصب نقابة الاشراف هو السيد هاشم بن السيد احمد بن السيد محمد سعيد . ألا ان هذا المنصب فقد تأ ثيره ، نتيجة للتحولات السياسية التي جرت في العراق بعد سنة ١٩٢١ فبقي النقيب لا يحمل أي توجهات فعالة في الجانب اجتماعي .[١٣] وعند التدقيق في أسرة السيد طالب ، نجد نسبه ينتهي إلى السيد شعبان (دفين مندلي) الذي ينحدر نسبه من السيد ((عبد الواحد بن سيد محمود الأسمر)) الذي سبق ذكره . واصبح والد السيد طالب ((السيد رجب)) نقيباً للأشراف سنة ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م ، حتى وفاته سنة ١٣٤٠ هـ / ١٩٢١ م . [١٤]

يستدل مما سبق على أهمية الأثر الديني في الاسرة الرفاعية ، فضلا عن منصب نقابة الاشراف ، الذي كاد ان يكون حكراً عليهم طيلة العهد العثماني ،والذي أعطى للسيد طالب مركزا اجتماعيا ، يقترب من درجة الاحترام الكامل لشخصيته ، والتقديس لأسرته عند معظم الناس في ولاية البصرة .

شخصية السيد طالب النقيب :

عند التطرق إلى دراسة الشخصيات تضع الدراسات السيكولوجية المؤهلات الشخصية المختلفة ، أساساً لتباين تلك الشخصيات ، لذا لابد من التطرق إلى تلك المؤهلات ، الشخصية والقيادية للسيد طالب والظروف التي مكنته من تبوء المركز الاجتماعي المرموق في المجتمع البصري بشكل خاص ، والمجتمع العراقي بشكل عام . ولد السيد طالب في البصرة سنة ١٢٨٧ هـ/ ١٨٧٠ م ، وتوفي في ألمانيا بمدينة (ميونخ) ونقل جثمانه منها بالباخرة ، الى البصرة سنة ١٩٢٩ ، ودفن في مقبرة الحسن البصري ، في مدينة الزبير ، مع بعض افراد الاسرة ، في مكان مخصص لها . [١٥] تلقى السيد طالب تعليمه ، في داخل بيته، كما اعتادت عليه الأسر الثرية آنذاك ، في تعليم اولادهم . فقد تم فتح مكتب ، في بيت الأسرة لتعليم القران الكريم ، والخط العربي ، والأدب واللغة ، ومكتب خاص اخر لتعليم اللغة التركية ،والفارسية ، والإنكليزية ، والهندية واستطاع السيد طالب الاحاطة بكل هذه اللغات ، بل وإتقانها أيضا ، على حد قول يوسف زادة . [١٦]

مارس السيد طالب في شبابه مهنة المحاماة – ونجهل كيفية معرفته بهذه المهنة – في دوائر الدولة ، وتعقيب الدعاوي مستخدماً نفوذه ، ولباقة حديثه ، وسمعة عائلته . [١٧]

ويزيد في مركز السيد طالب ، مؤهلاته القيادية – التي كاد ان يجمع عليها كل من تطرق الى سيرة هذه الشخصية – وابرزها ذكاؤه ، وهمته الكبيرة ، وكرمه ، واستخدامه مفردات مؤثرة في خطابه الاجتماعي و السياسي . وقد وظف هذه المعطيات في بداية شبابه واستثمرها في ممارسة مهنة المحاماة وكذلك في اجتماعاته السياسية والحزبية ، فيما بعد .[١٨]

ارتبط السيد طالب بعلاقات حسنة –وأحيانا متميزة –بينه وبين زعماء الأسر البصرية في نهايات القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين فقد كانت علاقته مع أسرة آل باش أعيان مثلاً علاقة متميزة ، فقد كان السيد طالب يؤكد بأنه أخ بالرضاعة ، للشيخ عبد الواحد باش أعيان ، وكان ينادي الشيخ عبد القادر باش أعيان دائماً بـ ((ابن اخي)) ولعل ذلك راجع الى ان الأسرتين ارتبطتا بعلاقات جيدة منذ بداية العهد العثماني . وتجسيدا لهذا الموقف ، فقد وقفت أسرة آل باش أعيان في مساندة أفكار و مشاريع السيد طالب السياسية والحزبية ، وكرست امكانياتها لنصرة المواقف المختلفة للسيد طالب . فجعلت من قصورها مثلاً أماكن لتجمعات سياسية واجتماعية لتنفيذ ما يصبو أليه السيد طالب من اهداف . ففي سنة ١٩١٣ أقام الشيخ عبد الله باش أعيان في قصره الواقع في الصالحية (في الضفة الشرقية من شط العرب) حفلاً حضرته الكثير من شخصيات البصرة وزعماء الأسر والعشائر البصرية وتم فيه انتخاب السيد طالب ((أميرا على البصرة)) . واستمرت العلاقات الطيبة الى نهاية المطاف بينه وبين أسرة آل باش أعيان حتى بعد وفاة السيد طالب ، حيث نظم الشيخ صالح باش اعيان ، لجنه تحت أشرافه لتشكيل هيئة لاستقبال جثمانه والقيام بحفلة تابينية كبيرة له .[١٩]

المكانة الاجتماعية للسيد طالب النقيب في المجتمع البصري

ويستطيع الباحث ان يستدل على طبيعة المكانة الاجتماعية للسيد طالب بين الاسر البصرية من الاهتمام بمشاريعه السياسية و الاجتماعية ، فزعماء الاسر البصرية كانوا سباقين للانضمام الى المواقف والتنظيمات الحزبية التي قام بها السيد طالب ، والى المساهمة في مشاريعه الاجتماعية في العقد الثاني من القرن العشرين ، ومنها على سبيل المثال ، أسرة العبد الواحد و آل الطباطبائي والنعمة والصائغ والمنديل والسلمان وغيرهم . ويمكن الاستدلال على ذلك مثلاً بضرورة وقوف تلك الاسر بجانبه ضد مناوئيه ، كما حدث سنة ١٩١٣ ، عندما تفجرت ازمة سياسية واجتماعية بينه وبين زعيم المنتفق القوي ((عجيمي السعدون)) في بداية القرن العشرين ، حيث توافد زعماء تلك العشائر الى مركز الولاية . وقاموا بتعبئة مقاتليهم الذي تجاوزت أعدادهم (٦٠) ألف مقاتل ، استعدادا للقتال ضد خصم السيد طالب العنيد ، الذي هدد باجتياح مركز الولاية حيث انضم أليه الشيخ ((سالم الخيون)) شيخ بني أسد ، والشيخ ((حمود)) شيخ الصيامر ، والشيخ ((كباشي)) شيخ السعد ، والشيخ ((محسن)) عن عشيرة الحلاف ، والشيخ ((احمد وحمد الموسى)) عن عشائر الدير والشيخ ((جياد بن عبد الله)) شيخ المياح ، والشيخ ((جرتي بن جادر الرباط)) شيخ القطارنة وجميع رؤساء الأسر من الخورة حتى نهاية الفاو ، وكانوا مستعدين لتنفيذ ما يريد في تلك المدة المضطربة و المليئة بالتناقضات السياسية والاجتماعية . [٢٠]

والتساؤل هنا ، ما المؤهلات التي جعلت السيد طالب يصل الى هذه المكانة المرموقة في المجتمع ؟ وربما يمكن تفسير ذلك بصفات عدة تجمعت في شخصيته ، أوضحها بعض معاصريه ، فسليمان فيضي المحامي . الذي كان بمثابة سكرتيره الخاص – يصفه بأنه ((كان من أدهى الرجال وأشدهم بأساً ، وكان لا يتورع عن الأقدام على أخطر المجازفات في سبيل تحقيق غاياته ، وكان يلتزم أعوانه ويحميهم ، ويبطش بخصومه دون ما تساهل)) [٢١] بينما يصفه الشيخ عبد القادر باش اعيان ، وهو قد عرفه عن قرب بما نصه (وقد خصه الله من الذكاء و سحر الكلام واللامبالاة ، مما اظهر شخصيته ، أضف الى ذلك سخاؤه وكرمه)) .[٢٢]ولعل اتخاذه عنصر المبادرة والعنف والدهاء والمحالفات هي التي جعلته زعيماً لا ينازع في ولاية البصرة ، على حد وصف مسؤول بريطاني في البصرة . [٢٣]

وكان اتخاذه الأساليب الحازمة والعنيفة ضد مناوئيه التي تصل الى حد القضاء على الخصم ، وتصفيته جسدياً – إذا تطلب الموقف ذلك– مستلهماً القول المشهور ((خير مبدأ للدفاع هو الهجوم)) هو إحدى الوسائل الفعالة ، في توطيد مركزه السياسي والاجتماعي .ومن الأمثلة على ذلك تهديداته للمحامي ((عبد الله أفندي الراوندوزي)) ثم تصعيد ذلك التهديد الى الضرب المبرح واخيراً اغتياله في سوق البصرة ، في وضح النهار ، وهذا دليل على تلك السياسة الحازمة . [٢٤] والمثال الآخر ، هو تدبيره لخطة محكمة جريئة للقضاء على والي البصرة الاتحادي ((فريد بك)) واغتياله على اثر نزوله من الباخرة في شط العرب (في مرسى العشار) . [٢٤] وتزايد نفوذ السيد طالب الاجتماعي والسياسي في البصرة ، واصبح

((كفيل با نضمام النخبة المتعلمة والمثقفة الى الجمعية الاصلاحية ، التي لم يجرا الاتحاديون على غلقها ، مع انهم استطاعوا قمع الحركة الاصلاحية في بيروت ودمشق)).[٢٦]

والحق ، ان تصاعد نفوذ السيد طالب ، بين افراد عائلته وفي المجتمع البصري ، يرجع الفضل فيه ، فضلا عن موهلاته الشخصية ، الى ما قام به ((أبو الهدى الصيادي)) –الذي اعتبر الشخصية الثانية بعد شيخ الاسلام عند السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ –١٩٠٨) ان لم يكن الأولى – من جهود في سبيل رفع مكانته عند صانعي القرار في استانبول . ويدخل في هذا المجال حصول السيد طالب على رتبة ((بالا)) الرفيعة التي لم يحصل عليها في ولايات العراق الا القلائل ، وكذلك حصول بعض افراد عائلته على نياشين متعددة من الحكومة العثمانية . وزيادة في تدعيم سلطة السيد طالب بين افراد أسرته . فقد اقنع أبو الهدى الصيادي السلطان بإعفاء جميع افراد الاسرة الرفاعية من واجب الخدمة العسكرية . [٢٧]

اتخذ السيد طالب ، أساليب عدة ، لكي يتقرب الى الجماهير ، ويدفعها لتأييده ، منها الدفاع عن الضعفاء والمحتاجين ومساعدتهم مالياً ، أو دفاعه عن بعض معتقداتهم وطقوسهم الدينية التي مارسوها منذ مدة طويلة . [٢٨]

ويستدل من انتخاب السيد طالب من قبل مجلس اعيان البصرة ليمثله في مجلس المبعوثان عن البصرة ، مع احمد باشا الزهير ، مدى الأهمية الاجتماعية والسياسية لشخصيته ، خصوصا وانه انتخب مبعوثاً عن البصرة ثلاث مرات.[٢٩]

ومن أساليبه المحببة في هذا الشان أقامته الولائم والمبالغة فيها أحيانا لكسب اكبر عدد من الاتباع الى جانبه ، ومن الامثلة على ذلك الحفل الذي أقامه في سنة ١٩٠٤ في استانبول _ حينما عين عضوا في مجلس شورى الدولة – والذي كان وليمة باذخة ، وكذلك أقامته الولائم والحفلات الباذخة في بغداد ، لجمع رجال السياسة في العاصمة لتأييده بعد التطورات السياسية في العراق اثر ثورة العشرين [٣٠] ونستطيع ان نستشف طبيعة علاقة السيد طالب بالجماهير ، في كلام ساسون لمس بيل إذ يقول لها ((صدقيني يا خاتون ، ان أهل البصرة خرجوا كلهم الى المحمرة لاستقبال السيد طالب ، وقد كانو كلهم بلا استثناء يبغضونه ويرهبونه ، فكان أشدهم بغضاً له أكثرهم إظهارا للود له)) [٣١]

والجانب السلبي في هذا النص مبالغ فيه . ويعلق الشيخ عبد القادر باش اعيان على تلك الصفات التي تجمعت في شخصية السيد طالب ، ويؤكد ، لو انه استثمر بعض الصفات الجيدة في سبيل الخير ، لحصل على زعامة البلاد –على حد تعبيره – وحمل حاشيته بعض تصرفاته الشائنة ، فيقول ما نصه ((ولو ان بعضاً من هذه الصفات العالية ، التي جبل عليها سيرها منذ نشأ ته لسبل الخير لكان قد ساد البلاد ، واصبح لها زعيماً بلا منازع ، ولما كان أحد ان يقف أمامه ، ليحول بينه أمانيه ، ولكن مع الاسف ، فقد كانت الجماعات الذين التفوا من حوله ، لم يكونوا من الحنكة بمكان وليست لهم تلك التجارب والخبرة)) .[٣٢]

المكانة الاجتماعية للسيد طالب النقيب في المجتمع البصري

والمدقق في شخصية السيد طالب لابد ان يصل الى حقيقة ان مركزه الاجتماعي ، ارتبط بنفوذه السياسي الى حد كبير . فحينما كان نفوذه قوياً كانت الجماهير تقف له إجلالاً وتعظيماً ، وتصطف على جانبي الطريق لتحيته ، حين مرور موكبه المهيب ، وحتى الذين يجلسون في المقاهي يقفون له احتراماً أو خوفاً أثناء مروره من منفاه سنة ١٩٢٠ ، وعند رجوعه الى البصرة بعد ذاك ، كانت الناس تصد عنه ولا تبدي اهتماماً به ، كالذي كان سابقاً مما اضطره الى الانزواء في السبيليات ، بعيداً عن أنظار الناس . (٣٣)

وارتقاء السيد طالب مكانة في المجتمع البصري بشكل خاص ، والعراقي والإقليمي بشكل عام ، أمر جلي ، و بالرغم من كون مدح شخصية ما شعرياً ، يعكس تراثاً عربياً خاصاً ، ألا ان ارتقاء القائلين بذلك الى مناصب قضائية ، وفكرية ، وادبية ، رفيعة تدل بدون شك على ما أحرزه السيد طالب من مكانة عالية في سلم المركز الاجتماعي . والأمثلة على ذلك كثيرة ، فقد مدحه من هو في مستواه ، ومركزه السياسي كالشيخ خزعل خان حاكم الاحواز ، والعالم البصري مجموعي زاده والشيخ محمود أفندي والأديب ألاحسائي عبد العزيز العلجمي، والشيخ محمد الغنيم (الساكن في الزبير) والشيخ عبد الله أفندي ألبشاوري (رئيس المدرسين في مدينة البصرة) واسبق زاده محمد كامل أفندي

(مفتي بغداد) وغيرهم . (٣٤)

ولا يعني ما ذكر سابقا بان السيد طالب النقيب كان لا ينازعه أحد في المجال الاجتماعي والسياسي في البصرة ، بل يمكن القول انه كان الشخصية الابرز في هذا المجال .

الخاتمة

في دراسة الشخصيات التاريخية ، تتداخل وتتقاطع الأطر والمجالات المختلفة في صنع تلك الشخصية ، ولذا قيل ان تلك الشخصيات لاتتصرف بوحي من ذاتها ، بل الموثرات الاجتماعية ، تكون هي المحفز لتكوين تلك الشخصية ، وبالتالي فان أفعالها وقراراتها تكون صدى للمجتمع الذي تعيش فيه . قد يكون هذا الرأي فيه بخس لمعالم وطبيعة الشخصية ، ألا انه يحمل الكثير من الواقعية .

تضافرت عوامل شتى على صنع شخصية السيد طالب النقيب ، فالإرث الديني ، المتمثل بالطريقة الرفاعية ، والمناصب الادارية التي تولتها عائلته في رئاسة نقابة الاشراف منذ العهد العباسي ، ووقوف شخصية أبي الهدى الصيادي المساندة له في مركز القرار في استانبول لدى السلطان عبد الحميد الثاني شخصياً ، فضلاً عن مؤهلاته و صفاته الشخصية ، كل ذلك جعل منه شخصية قيادية اجتماعية . استطاعت ان تشق طريقها في المجالين السياسي والاجتماعي الى تحقيق ما تريد حتى وصل الأمر الى طموحها لمنصب ملك العراق سنة ١٩٢١ .

والباحث في شخصية السيد طالب النقيب يخرج باستنتاجات منها : قوة شخصيته وخطابه السياسي والاجتماعي المؤثر في تحقيق اهدافه ، ووجود أعوان (ميليشيات) مسلحين ، ينفذون أوامره بدقة تصل الى تنفيذ مهام خطيرة . ومنها أيضاً استهانته ببعض الأثرياء البخلاء ، وفرض الإتاوات عليهم ، وتوزيعها بعد ذلك على الفقراء والمساكين وهذا يذكرنا بالشخصية العجيبة (روبن هود) .

وبالتأكيد فان هذا الطموح سيتقاطع حتماً مع مصالح ومطامع الاخرين وعلى الاخص اهداف الانكليز الاستعمارية التي لم تجد في شخصيته ما يحقق مآربها ، فقامت بنفيه ، ثم تحجيم دوره السياسي فيما بعد ، مما كان له الاثر الكبير في تقليص أدواره السياسية والاجتماعية وإنهائها في العراق .

هوامش البحث

(*) شارك البحث في مؤتمر كلية الآداب / جامعة البصرة عن السيد طالب النقيب للمدة من ١٣ -١٤ / ٥/ ١٩٩٨ .

(١)أعلن أبو الهدى الصيادي ، عند زيارته البصرة سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م في دار السيد عبد الله بن معتوق الرفاعي في قرية السبيليات ، بانتساب السيد طالب الى الاسرة الرفاعية ، بعد اطلاعه على شجرة نسبهم وقد علق عليها بخطه وتوقيعه ما يؤيد ذلك .

انظر : الشيخ عبد القادر باش اعيان ، موسوعة تاريخ البصرة الكبير ج٢٤ ورقه ١٣ ، مخطوطة المكتبة العباسية في البصرة . ومن الجدير ذكره ان هذا الجزء مخصص لشخصية السيد طالب من بداية حياته وحتى وفاته وقد اعتمد عليه الباحث كثيراً ، في معظم ثنايا البحث .

(٢) يوسف زاده علي بن سليمان ، كتاب اسنى مطالب الأريب في مدح السيد طالب النقيب (القاهرة ، ١٣٢٢ هـ) ص ٨ ، والشيخ عبد القادر باش اعيان ، المصدر السابق ، ورقة ٢٥ .

(٣) احمد بن علي بن رفاعة الحسن المكي ، سكن البطائح في قرية (أم عبيدة) ومات فيها وضريحه الان موجودا في نفس المكان ، وهو تابع إدارياً الى المحافظة ميسان في الوقت الحاضر . ومن الجدير بالذكر ان السيد احمد الرفاعي لم يعقب ، إنما العقب لاخوته ، للمزيد من التفاصيل ، انظر : حسين علي عبيد المصطفى ، البصرة في مطلع العهد العثماني ١٥٤٦ -١٦٦٨ ، رسالة دكتوراه ، أجيزت في كلية الآداب ، جامعة البصرة ، سنة ١٩٩٨ ، ص ١٢١ وما بعدها .

(٤) يمثل الاشراف ظاهرة اجتماعية ، يمكن ملاحظتها في جميع البلاد الإسلامية منذ العهد الاسلامي الأول ، وهي ظاهرة تقديس الأفراد الذين ينتمون بالنسب الى النبي محمد (ص) واعتبارهم طبقة متميزة عن غيرهم من الناس وكانت البداية لتبوء الاشراف مركزاً اجتماعياً سامياً ، تبلور بشكل واضح في العهد العباسي، حيث كتب الخلفاء عهوداً لهم في هذا المجال .

انظر : د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ملحق الجزء السادس (بغداد ، ١٩٧٩) ص ٥-٦

(٤) المصطفى ،المصدر السابق ، ص ١٢٢

(٥) الشيخ احمد بن إبراهيم الفاروقي ، كتاب إرشاد المسلمين (القاهرة ، مطبعة محمد أفندي ، ١٣٠٧ هـ) ص ٢٥ . راجع نص كتاب منحه نقابة الطالبين (الاشراف) في البصرة ، في ملحق البحث .

(٦) المصطفى ، المصدر السابق ، ص ١٢١

(٧) الشيخ عبد الواحد باش اعيان تحفة النصرة في أخبار البصرة ، مخطوطة المكتبة العباسية في البصرة ، ورقة ٢١٦ .

(+)الشاذلية : طريقة صوفية تنسب الى الشيخ أبو الحسن الشاذلي (من المغرب) وقد مثلها في البصرة الشيخ محمد امين الكواز الذي بذل جهوداً كبيرة في البصرة في القرن السادس عشر ، وقد

خلفه الشيخ جبارة الريان ، ثم توالى على رئاسة الطريقة رموز عائلة ال عبد السلام (بيت باش اعيان فيما بعد) للمزيد من التفاصيل :

انظر : المصطفى ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ –١٧٣

(٨) المصدر نفسه ، ص١٧٠ وما بعدها

(٩) المصدر نفسه ،ص ١٢١

(١٠) الشيخ عبد الواحد باش اعيان ، المصدر السابق ، ورقة ٢١٩

(١١) المصدر نفسه ، ورقة ٢١٦ ، ٢١٨

(١٢) يوسف زادة علي بن سليمان ، الدر المنضد في مناقب السيد احمد ووالده الممجد (القاهرة ، ١٣٢٤هـ) ص١١

(١٣) الشيخ عبد القادر باش اعيان ، المصدر السابق ، ورقة ٢٤ ، ٢٧

(١٤) المصدر نفسه، ورقة ٢٥

(١٥) المصدر نفسه

(١٦) سليمان ، اسنى مطالب الأريب ، ص٩–١٠

(١٧) الشيخ عبد القادر باش اعيان ، المصدر السابق ، ورقة٢٥

(١٨) المصدر نفسه

(١٩) المصدر نفسه ، وللمزيد من التفاصيل عن ما جرى في الحفلة من مراسيم وكلمات سياسية ، انظر ورقة ٣٧ وما بعدها .

(٢٠) المصدر نفسه ، ورقة ٤٠، ٤١

(٢١) سليمان فيضي ، في غمرة النضال (بغداد ، ١٩٥٢) ص ١٣٣

(٢٢) الشيخ عبد القادر باش اعيان ، المصدر السابق ، ورقة ٢٥

(٢٣) احدث العراق عام ١٩١٣ كما ترويها تقارير القنصل الإنكليزي ، ترجمة فؤاد قزانجي ،مجلة افاق عربية ، عدد(٥) لسنة ١٩٨٦،ص ٦٣

(٢٤) الشيخ عبد القادر باش اعيان ، المصدر السابق ، ورقة ٢٦. وعن تقويم لشخصيته في هذا المجال ، انظر : حسين خلف الشيخ خزعل ، تاريخ الكويت السياسي ، ج٢ (بيروت ، (د.ت)) ص ٢٧٤

(٢٥) الشيخ عبد القادر باش اعيان ، المصدر السابق ، ورقة ٣٦

(٢٦) د.محمد مظفر الادهمي النخبة العراقية و حركة التحرر العربية ، مجلة افاق عربية ، كانون الثاني ،١٩٩١،ص ٨٥

(٢٧) سليمان ، اسنى مطالب الأريب ، ص ١٣،١٨، والشيخ عبد القادر باش اعيان ، المصدر السابق ، ورقة ١٣١. ومن المفيد ذكره ان الشخص الذي يحصل على رتبة (بالا) يلقب بـــ(البيك) بينما الذي يحمل رتبة (ميرميران) يلقب بـــ(الباشا) وان لقب البيك أعلى من لقب الباشا

(٢٨) سليمان ، اسنى مطالب الأريب ، ص ٤٩،٥١،٥٩

(٢٩) عبد الواحد باش اعيان ، زبده التواريخ ، ج١٥، ورقة ٨٣،ج١٦،ورقة ٩٨،٩٩

(٣٠) الشيخ عبد القادر باش اعيان ، المصدر السابق ورقة ٢٩،١٠٤

(٣١)نقلاً من د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديـــث ج٦ (بغـداد ،١٩٧٦) ص١٤

(٣٢) الشيخ عبد القادر باش اعيان ، المصدر السابق ، ورقة ٢٥

(٣٣) المصدر نفسه ، الورقة ٧٣، ٨١

(٣٤) سليمان ،اسنى مطالب الأريب . وللمزيد من التفاصيل والاطلاع علـــى تلـك القصـائد انظـر الصفحات ، ٣٦ ، ٤١،٤٣، ٨١، ١٠٨، ١٤٨.

مصادر البحث

أولا –المخطوطات

١. باش اعيان ، الشيخ عبد القادر ، موسوعة تاريخ البصرة الكبير ، ج٢٤،مخطوطة المكتبة العباسية في البصرة .

٢. ـــــــــ، الشيخ عبد الواحد ، زبدة التواريخ ،ج١٥،١٦، مخطوطة المكتبة العباسية في البصرة .

٣. ـــــــــ، الشيخ عبد الواحد ، تحفة النصرة في تاريخ البصـــــرة ، ج١ ، مخطوطـــة المكتبـــة العباسية في البصرة .

ثانيا –الرسائل الجامعية :

المصطفى،حسين علي عبيد ، البصرة في مطلع العهد العثماني ،١٥٤٦–١٦٦٨ م دراسة في التـاريخ الاجتماعي والعمراني ، رسالة دكتوراه ، اجيزت في كلية الآداب ، جامعة البصرة ، سنة ١٩٩٨م.

ثالثا – الكتب :

١. خزعل ، حسين خلف الشيخ ، تاريخ الكويت السياسي (د.ت) ج٢

٢. سليمان ، يوسف زادة علي ، كتاب اسني مطالب الأريب في مدح السيد طالب النقيـــب (القـــاهرة ،١٣٢٢هـــ)

٣. ـــــــ، الدر المنضد في مناقب السيد احمد ووالده الممجد (القاهرة ، ١٣٢٤ هـــ)

٤. ألفاروقي ، الشيخ احمد بن ابراهيم ، كتاب إرشاد المسلمين (القاهرة ، ١٣٠٧هـــ)

٥. فيضي سليمان ، في غمرة النضال (بغداد ، ١٩٥٢)

٦. الوردي ، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ملحق الجزء الســـادس (بغـــداد ، ١٩٧٩)

رابعا–الدوريات :

١. الادهمي ، د. محمد مظفر : النخبة العراقية وحركة التحرر العربية ، مجلة افاق عربية ، كـــانون الثاني ، ١٩٩١.

٢. قزانجي ، فؤاد (المترجم) أحداث العراق عام ١٩١٣، كما ترويها تقارير القنصل الإنكلـــيزي ، مجلة افاق عربية عدد (٥) /١٩٨٦.

المكانة الاجتماعية للسيد طالب النقيب في المجتمع البصري

ملحق

(نص تولية الخليفة القائم بالله للسيد يحيى الرفاعي لمنصب نقابة الطالبين في البصـــرة ، وواســط ، والبطائح)

((الحمد لله حمداً ، تحسن به الشؤون ، وينجو به الحامدون ، والصلاة والسلام على عبد الله الاكمل ، ورسول الله الافضل سيدنا محمد الذي اختاره الله من اطهر الأصلاب ، وأشراف البطون وعلـــى الـــه اصحابه العارفين ، بحقيقته العاملين بسنته .

(أما بعد) من عبد الله القائم بالله أمير المؤمنين ، سدد الله بالتوفيق والعناية أقواله وافعاله ، انه الـــبر المعين ، الى العبد الصالح بركة الاسلام والمسلمين ناصر الأمام والدين خادم الشريعة المحمدية ، قـرة عين العترة الفاطمية ، يحيى بن ثابت بن حازم بن احمد بن علي بن رفاعة الحسن ابي المكارم المكـي الحسيني الهاشمي . أعاد الله نفعة ونفع اسلافه على المسلمين . أيها السيد المشار أليه والمعول عليـــه (اعلم) ان توقيعنا هذا وثيقة أمامية بيدك ، تعهد إليك منا بالنقابة على الطـــالبيين بـــالبصرة وواســط والبطائح وما يليها من الأعمال تأمر فيهم ، وأمرك النافذ المطاع وكل ما يرفع منك للمقام الأمامي فـي شئونهم ، فهو مقبول ، يعمل بفحواه ، ويحكم بمقتضاه ولله الموفق المعين .

حرر هذا التوقيع بدار الخلافة العامرة ببغداد ، دار السلام ختام عام خمسين وأربعمائة مـــن الـــهجرة النبوية . انتهى

المصدر سليمان ، المصدر السابق ، ص ٢٥، ٢٦

ملخص البحث

برزت في العراق في بداية القرن العشرين ، شخصيات سياسية دافعت عن القضايا الوطنية والعربيـة، ومنهم شخصية السيد طالب النقيب الذي كان ينتمي إلى اسرة معروفة في البصرة هي الاسرة الرفاعية التي كان لها ارث ديني ، لأنتمائها إلى الطريقة الصوفية الرفاعية وكذلك لترأسها نقابة الاشراف فـــي البصرة طيلة العهد العثماني .

مارس السيد طالب المحاماة في شبابه ، وكان يتميز بالذكاء والكرم واقامة العلاقات الاجتماعيـــة ، اذ ارتبط بعلاقات متميزة مع زعماء الاسر البصرية ، كأسرة آل باش اعيان على سبيل المثال . واستطاع جذب زعماء الاسر البصرية لمواقفه وتنظيماته الحزبية ، بما يمتلك من عنصـــر المبـــادرة والدهـــاء والعنف . فضلاً عن اساليبه في الدفاع عن الضعفاء والمحتاجين ومساعدتهم مالياً ، بحيث اســتطاع ان ينتخب من قبل مجلس اعيان البصرة لتمثيله البصـرة في مجلس المبعوثان في اسطنبول .

واجمالاً فأن مركز السيد طالب الاجتماعي ارتبط بمركزه ونفوذه السياسي فعندما كان مركـــزه عاليـــاً مدحته الشخصيات الكبيرة في البصرة والعراق ، الا ان فقدان نفوذه السياسي افقده النفوذ الاجتمـــاعي وعلى الاخص بعد رجوعه من منفاه سنة ١٩٢٠ .

Abstract

In the beginning of the twentieth century, in Iraq political characters appeared . They defended national and Arabian issues , including Talib AL- Naqeeb who belongs to a well known family in Basrah which is " Rifia" which led a religious relic for it belongs t o the Rifain sophist method , and also it presides the family in Basrah along the Ottomanian era .

AL Naqeeb practiced being alawyer in his youth . He was characterized by cleverness , generosity , and making many social relations . He was connected in distinguished relation with the heads of the Basri families as Bashas family . He could attract the heads of the Bain family this situations and party organizations This is due to his cleverness , genius and violence , in oddtion to his ways to defend the poor and those in need by helping them by money . Thus , he was elected by the council of the heads of Basrah to represent it in the council of tow delegates to Istanbul .

Generally, the social place of Talib AL- Naqeeb was connected with his political status and control . When he had athigh position , he was praised by the big families in Basrah and Iraq .

But the loss of his political control made him lose his social control especially after his return from exile in 1920 .